محاضرة غسان تويني عن "يوحنا الدمشقي وآفاق الحوار"
حضـارة السلام بديلاً من صراع الحضارات وحوارها

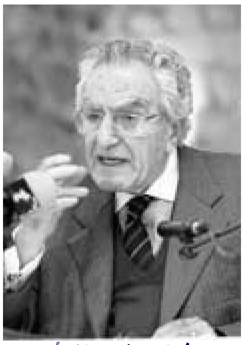
غسان تويني محاضراً.

الحضور يتقدمهم البطريرك اغناطيوس الرابع وقد بدا من اليمين المطارنة بولس بندلي، اسبيريدون خوري، الياس قربان، جورج خضر، والى يمين البطريرك كل من المطران الياس عودة، الدكتور ايلي سالم فالمطران جورج ابو زخم.(تصوير وسام موسى)

ألقى عميد "النهار" الاستاذ غسان تويني محاضرة عن "القديس يوحنا الدمشقي وآفاق الحوار"، مساء الاربعاء في ٤ كانون الاول، في دير سيدة البلمند، في حضور البطريرك الارثوذكسي اغناطيوس الرابع هزيم، ومطارنة من الكرسي الانطاكي، في ما يأتي نصها:

سيدي صاحب الغبطة،
حين أعود أقف محدثاً من على هذا المنبر، تحملني الذاكرة الى محاضرة القيتها من ١٣ سنة، عام ١٩٨٩، في تدشين السنة الاكاديمية الأولى لجامعة البلمند التي كانت آنذاك بالكاد قد انشئت. وكنت لا أزال، على غير استحقاق، نائب رئيس مجلس الامناء، أي نائباً لغبطتكم. وقد أردتم ذلك بفعلٍ من عطفكم وتكريساً لإرث من المحبة مديد الأعوام.
طاب لي آنذاك أن أحيي، كما أحيي اليوم، وجودنا على هذه الهضبة الخضراء، نستظل تاريخاً عريقاً، والأبنية من حولنا كانت تشاد وكأنها - قلت - "شهادة في العناد على الخلق المستقيم الرأي، بينما المدائن في وطننا تحترق، والانسان قد جنّ وتجهّل واستُعبد وتهجّر وتاه".
ايها السادة،
لم أجد أفضل من هذا الاستذكار مدخلاً لموضوعنا الليلة عن "القديس يوحنا الدمشقي وآفاق الحوار".
فالجامعة يكتمل بناؤها مرحلة مرحلة، وهي تنعم، في ظل رعاية صاحب الغبطة، بخير رئيس - صديقي الدكتور ايلي سالم - أمّن لها القدر الوافر من الازدهار وهو يحرس ثباتها على الايمان بالرسالة الاكاديمية التي اريدت لها.
زينة هذه الرسالة أن نظل نذكر بفرح ونصلي لشفيع معهد اللاهوت الذي انطلقت منه الجامعة، القديس يوحنا الدمشقي، المعلم الانطاكي الكبير الملقب بـ "خريستورواس"، أي "دقاق الذهب" نسبة لفيض قريحته بما هو بمثابة الذهب من الكلام. وفي ابتهال آخر ليوحنا ، هو "ملهم الارثوذكسية والشعلة التي تضيء الكون".
حسبنا منه، نحن المسيحيين الانطاكيين، انه، عبر التقلّبات التي زلزلت أرضنا والكنيسة، ظل المرجع المسيحي العربي الأعظم، يكرّس تقليداً ويرسم للمتأخرين مثالاً: مثال الاشتراك المسيحي الفاعل حتى الشهادة في تكوين الثقافة العربية الاسلامية، بحوارية مبنية على التعمّق في معرفة دين "الآخر" واستلهام الآخر الجوابَ بالمثل.
وصارت هذه الحوارية - وهي لاهوتية في الجوهر والشكل - أحد منطلقات "علم الكلام" الذي يصح وصفه، متى نضج، باللاهوت الاسلامي.
سيداتي سادتي،
في هذا الزمن الرديء الذي تظلله علائم ثمة من يخشى أن تكون "علائم الآخرة"... تدركون معي لماذا اخترت "آفاق الحوار" موضوعاً لحديثنا عن الدمشقي.
ولست أجد أفضل مطلعاً لحديثنا من هذه الآيات الكريمات التي سبق للسيد البطريرك اغناطيوس أن استلهمها في مقالٍ له عن القديس يوحنا:
من سورة النمل:
"ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ان ربك هو أعلم بمن ضلّ عن سبيله

وهو أعلم بالمهتدين".
وكذلك هذه الآية الكريمة من سورة العنكبوت:
"ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وإليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون".
في العهد الأموي الذي ولد فيه يوحنا، وتولى عن والده وجده منصور بن سرجون مسؤوليات كبرى، كانت هذه الروح هي السائدة بين العرب والعرب. أي بين مسيحييهم الذين اتهمهم البيزنطيون بتسليم بلاد الشام، وبين المسلمين الذين ارتاحوا الى المسيحيين فاعطاهم خالد ابن الوليد "أماناً على نفوسهم وأحوالهم وممتلكاتهم وسور مدينتهم". بل وأكثر، لم يكتف الخليفة بائتمانهم أباً عن جد على بيت مال المسلمين، بل مضى يستفيد من خبراتهم في السياسة والإدارة والفنون والآداب، فازدهرت حركة التواصل الاجتماعي والثقافي.
الا أن حوارية العهد الأموي سرعان ما صارت الى الارتباك. والدليل أن يوحنا الذي كان قد كتب ونشر "المئة مقالة في الايمان القويم" لم تحتمل الدولة مقاله "الحوار مع أحد الشرقيين" الذي تصدّى فيه لمسألة الحرية والقدرية في المسيحية والإسلام. ومع أن بعضهم وصف هذا "الحوار" بالموقف الدفاعي في وجه الزخم التبشيري المستفيد، بطبيعة الحال، من مكانة الاسلام كدينٍ للدولة الجديدة، فقد اضطر يوحنا للتخلي عن مسؤولياته والتّنسّك في دير بعيدٍ، دير مار سابا في فلسطين، حيث انصرف الى تأليف الترانيم والقوانين الكنسية التي لا تزال حيّة الى عصرنا الحالي.
لم يكن حال يوحنا مع البيزنطيين أفضل. فعند قيام بدعة محاربة الأيقونات، تصدى لها يوحنا فاتهمه الملك بالخيانة وأمر بقطع يده وتعليقها في وسط المدينة. الا أن يوحنا استعاد يده وألصقها بزنده واستلقى على المذبح متضرعاً أمام أيقونة العذراء. وفي التاريخ الكنسي أنّ العذراء ظهرت له معلنةً عودة كفه اليه. وهذا ما تخلّده الأيقونة التي تمثّل السيّدة العذراء بثلاثة أيدٍ، ثالثتها يد القديس الدمشقي.
سيداتي، سادتي
لن أسترسل في الحديث عما تعلمون أكثر مني.
ثم أني أرى عند هذا الحدّ أن نتوقف عن تأريخ مراحل الحوار المسيحي - الاسلامي، على أن نعود الى الموضوع بعد حين.

صراعات العولمة

أدعوكم للانتقال مباشرة الى الزمن الرديء الحاضر - على ما نبذل ويبذل المسلمون لتجاوزه بسلام - فنتحدث مباشرة عن " صراع الحضارات" الذي جعلوه عنوان العصر. "الصراع" هذا أوقع القائلون به أنفسَهم، وبالتالي أوقعوا الشرق العربي وديار الاسلام الأخرى في مأزق تاريخية يحاول العالم شرقاً وغرباً الانفكاك منها... هذا بإدانة "الارهاب" وقد أسلموه (والاسلام الحقيقي منه براء) وذاك بالدعوة الى النفاذ الى قواعد القضايا والمآسي التي تجعل أهلها يكفرون، فلا يجدون الى حقوقهم سبيلاً، يائساً، غير العنف، فالارهاب.
واذا أردنا أن نذهب في الواقعية الى حدّها الأقصى لقلنا إن "صراع الحضارات" كان تفسيراً تبسيطياً لصراعات العولمة - ولا نقول السيطرة على العالم - التي ورثت قرناً عشرينياً بلغ فيه التباعد بين المسيحية والاسلام حده الأقصى. وفي جملة مسببات هذا الوضع أن الفكر الانفتاحي الاسلامي كان آسناً في ظل الزهو الامبراطوري العثماني، ثم تحرّك مواجهاً للمسيحية التي جاءت في القرن التاسع عشر تبشيرية حيناً - بينما المسيحية العربية راكدة وفي سبات عميق- وجاءت أحياناً في زي هوية مميّزة للدول المستعمرة.
وأستأذنكم، تدليلاً على ذلك، بالاستشهاد بكلمة عفوية في بساطتها أدرجها الكاتب المغربي، الأستاذ مظهر الملّوحي، في التقديم لكتاب عنوانه "قراءة شرقيةٍ لإنجيل لوقا" صدر عام ١٩٩٧. قال:
"لقد حدثت فجوة بين رسالة عيسى المسيح (سلامه علينا) التي نادى بها، ومفهومها لدى الانسان العربي، بسبب غربته. وما أعني بغربته هو تبني الغرب للمسيحية. هذا التبني شكّل لدى الانسان العربي ردة فعل عنيفة ضد المسيحية أنسته أن عيسى المسيح هو ابن تراثنا، ابن شرقنا، رسالته رسالتنا. ولهذا صرفنا فترة نعيد فيها]قراءة[الإنجيل ومحاولة شرحها بطريقة سلسة لإعادة مفهوم الرسالة الى موطنها الأصلي حيث يجب أن تكون." ا. هـ.
الظروف الموضوعية للحوار
أليس في هذا الكلام، على بساطته الصافية، أبلغ رد على مسلمين جاهليين لا يزالون يظنون أن المسيحيين في الشرق هم من بقايا الصليبيين، ويتعاطون مع المسيحيين، مثل بن لادن، كأنما سيدنا عيسى من مواليد نيويورك، أو باريس؟
سيداتي سادتي،

عند هذا الحد من الحديث، آن الوقت لنحدد ما هي الظروف الموضوعية الحالية للحوار الاسلامي- المسيحي: هل هو بَعد ممكن؟ أم هو صار مستحيلاً؟ كيف نسير به؟ هل نستسلم ونتوقف، أم نمضي في الأمل الى حد الشهادة؟
إليكم بعض الأجوبة:
أولاً: الحوار كان قائماً فلا مبرر يمكن أن يردعنا عن الاستمرار فيه وتحديثه، ولو ضاق بنا الأمل أحياناً، فمضينا نكرر العموميات المعمعيات بما لا يخلو من المجاملة وبعض التكاذب.
ثانياً: من أسباب اليأس تصاعد الأصولية المطلقة منذ طلائع القرن العشرين، عند المسلمين كما عند المسيحيين، ولو في أشكال مختلفة، تراوح بين التزمت الصامت وإعلان الجهاد. وقد بدأ ذلك في مطلع القرن العشرين، عززه تجذّر الصهيونية في محيطنا، كحركة تجمع بين الدين وعصبية عرقية تدعي القومية. وقد أدى ذلك الى انتقال عدوى المزج بين الهويتين، في مقاومة الاسرائيلية وأخطارها.
ثالثاً: تنوّع الأصوليات وانتظام معظمها في جماعات مسلحة، تُزايد على بعضها البعض. ثم اللجوء الى العنف المطلق من الجانبين، ولو بدون تكافؤ وهو وضع يفرض، لفتح الحوار من جديد، صدمة كونية، ربما من الجانب المسيحي، تكون في حجم الإرهاب، انما بسلام.
رابعاً: تزايد الايمان المتديّن في الجانبين المسيحي والاسلامي، وتلبّسه في غالب الأحيان هويات اجتماعية بل سياسية تضيّق - وهنا المفارقة - مساحة الحوار العقلاني واشكالياته... بالرغم من ازدياد الشوق الى الآخر، في عمق الذات الفردية.
خامساً: تكاثر الصراعات السياسية، كونية واقليمية، بعد انتهاء الحرب الباردة وموت الايديولوجيات، جَعَل الايمان الديني، ولو بريئاً، يقع فريسة سهلة في متناول الباحثين عن ذرائع لحروب تغطّي المصالح الاقتصادية والأهداف الجيوستراتيجية.
سادساً: معاهد وحلقات ولقاءات ومؤتمرات الحوار لا تزال أكاديمية، بل طوباوية. وغالباً ما تتستر بالمزايدة في الانفتاح بنسبة ما يسكن عقول المتحاورين إفرازات العصبيات السليقية. الحاجة ماسة الى حوارات في الحياة حيث لا مكان للغش، عبر المشاركة في أمرين: اختبار العيش والحكم التعددي، أولاً، وثانياً السير في البحث لمعرفة "الآخر" الى حد مناقشة الواحد للاهوت الآخر، والعكس بالعكس. وهذا ما يفرض معارف متبادلة إنما تتوق الى الميتاثيولوجية، بمعنى التنازل عن الاقناع، بل عن التبشير ، والاكتفاء بالبحث عن القيم المشتركة التي تصلح دستوراً لحضارة المسالمة الخلاقة ومناقبية الاحترام المتبادل الى حد المحبة.
أيها السادة، أيتها السيدات،
أجدني وصلت الى جوهر الموضوع، فتفرض علينا من جديد شخصيةُ القديس يوحنا الدمشقي أسلوبها: المناقشة العلنية العميقة غير الواجلة للاهوت الاسلامي أي العودة الى شيء من "علم الكلام"، الاسم الآخر لهذا اللاهوت. مبدأ آخر للدمشقي لا حوار يُستأنف بدونه، هو "إحلال العقل في القلب". فالحوار المحض عقلاني يؤدي الى المناظرة، الفلسفية أولاً، فالسفسطائية استطراداً، في حين أن فيض القلب وحده يغسل العقول ويحرّرها من الجمود المميت، فيمركزها في عمق الطبيعة الانسانية، التي لا تعبير عنها أفضل من " الحوار الكياني الحياتي" كما يقول عزيزنا الدكتور طارق متري.
هل نحلم؟ أم ثمة نماذج تاريخية نستنير بها تبرر الأمل؟
ثمّة... ثمة الإمام الغزالي، الذي حذر من "الضلال عن سبيل الحوار السوي" حين قال في مقاله "الرد الجميل لالهية عيسى بصريح الإنجيل" أن اللاهوت المسيحي وقع في خطأين جسيمين: خطأ التقليد وخطأ التفلسف بنصوص الأناجيل الأربعة.
والى الإمام الغزالي، هناك المعتزلة. والى حدّ ما، "اخوان الصفاء". غير أن بحثهم نخشى أن يطول.
الا أن ثمة مَن لا مثيل أفضل منه لأبعاد "وضع العقل في القلب"... عنيت كبير المتصوّفين بل الفلاسفة الحواريين حتى مع شخصية الاله: الشيخ ابن عربي، يطلق كالصرخة أبياته التي صارت علامة تعانق ديني يتجاوز الحوار، كمجرد حوار:
"لقد كنت قبل اليوم أُنكرُ صاحبي
اذا لم يكن دينُه الى ديني داني
لقد صار قلبي قابلاً كل صورة
فمرعى لغزلان وديرٌ لرهبان
وبيتٌ لأوثان وكعبةُ طائفٍ
وألواحُ توراة ومِصحفُ قرآن
أدينُ بدينِ الحبِّ أنّى توجهتْ

ركائبه فالحب ديني وإيماني"
سيداتي سادتي،
ملاحظة شخصية قبل أن نعود نستقرىء التاريخ لماذا كان ابن عربي ممكناً، وصارخاً، في القرن الثاني عشر، ولماذا صارت صرخته "الحب ديني وإيماني" مستحيلة مذذاك لعهدٍ طويل...ولماذا لماذا طويت حواراته الوجدانية والفلسفية قروناً طوال؟
أما الملاحظة... الشخصية؟ لا، فقط شخصية بمعنى الاشارة الى شخص كانت له فعاليته الكبرى في موضوع بحثنا. الشخص هو الدكتور قسطنطين زريق، معلّم القومية العلمانية الجامعة. معلّمها لأهل الدينين من أجيالنا المعذَّبة...
وقد لا يكون الدكتور زريق هو الذي اكتشف في زمنه الشعر الصوفي، غير انه صاحب الفضل في وضعه - اذا جاز التعبير - في تداول العصر الحديث. وقد جعل أبيات ابن عربي شعاراً، بل حجة دامغة بأن الدعوة الى الحوار العربي بين المسلمين والمسيحيين ليس بدعة معاصرة، بل فعل إيمان نادى به كبار الملهَمين.
والآن، سيداتي سادتي، هيا بنا الى شيء من التاريخ.
في محاضرة رائدة ألقاها في بيروت عام ١٩٨٨١ (في " دار الفن والأدب") يرتّب الدكتور طريف الخالدي مراحل الحوار الإسلامي - المسيحي، مُطلقاً على ذلك تسمية "نظرة الاسلام العربي الى اللاهوت المسيحي".
١- "عصر الانتصار"، من القرن الأول للهجرة الى القرن الثالث.
٢- "عصر الفضول"، ينتهي أوائل القرن التاسع، "وكانت المناظرات - والكلام للخالدي - بين المسلمين والمسيحيين قد اتخذت شكلاً رسمياً]بحيث[تعقد في المجالس العامة". وفي هذا العصر، وقعت الحروب الصليبية التي لم تمنع وجود "نظرة الى اللاهوت المسيحي تتسم (يقول الخالدي) بالاعتراف بالتاريخ الواحد الذي نبعت منه المسيحية والاسلام".
٣ - "عصر اللامبالاة"، ينتهي مع القرن الثاني عشر، وهو عصر سقوط القسطنطينية (١٤٥٣).
٤- "عصر المجابهة" من القرن الثالث عشر الى الزمن الحالي، وهي المرحلة التي واجه خلالها المسلمون العرب ظاهرتين أدتا الى التباعد، بل العداء: التبشير المسيحي الأوروبي والأميركي والروسي، ثم الاستعمار.
ويردد الدكتور طريف الخالدي، عن مرحلة المجابهة، هذا التساؤل يطلقه مفكرو المسلمين فيقولون: "أين كل هذا من المسيحية السّمحاء؟ أين كل ما حدث ويحدث من رحمة المسيح ومحبته؟ فاختلط - يقول - الحب بالبغضاء، والمسيح العربي بالمسيح الغربي وأصبحنا نتأرجح بين التقارب حتى حدّ الالتحام والتباعد حتى حدّ العنف".
قبل البحث عن الجواب عن هذا التساؤل الذي هو لبّ الحوار موضوعنا، يجدر بنا التوقف عند عبارة "المسيح العربي"، ماذا هو؟
في نظرنا، هو الظاهرة الحوارية الأغرب والأدعى الى الاهتمام. فانطلاقاً مما ورد في القرآن الكريم عن السيّد المسيح والنصرانية بنوعٍ عام، هنالك في التراث الإسلامي العربي مادة غزيرة انكبّ على جمع بعضها وتفسيره والتعليق عليه أكثر من لاهوتي ومؤرّخ من المسلمين والمسيحيين (كالأب ميشال حايك). والذي يبدو لنا من هذه المطالعات أن الكلام عن المسيح كان مستمراً عبر مراحل التاريخ الإسلامي بدون انقطاع: في الأحاديث النبوية أولاً، ثم في التفسيرات الأدبية والفقهية، فضلاً عن المتداول من الأناجيل الأربعة المترجمة الى العربية، وعن ترداد ما ورد في كتابات إنجيلية محرّفة.
ولعل ما يفيدنا تسجيله، في محاولة الاطلال على آفاق الحوار، هو أن صورة "المسيح العربي" كانت ولا تزال تراوح بين الرواية الإنجيلية والصورة الأسطورية، وصولاً في بعض الأحيان الى الحكايات الفولكلورية. والأمر الأهم الواجب تسجيله هو دوام الاحترام في كل صور "المسيح العربي" الى حدّ التحدث عنه في غالب الأحيان على هذا النحو: "عيسى على نبيّنا وعليه السلام". كأنما الإسلام كان بشيء من الاستمرار لا ينكر الوهية المسيح، ولا يناقشها، انما يغالب النفس فيساويه والرسول في النبوة. مثالنا على ذلك ما ورد في احدى الروايات المسلمة عن "دعاء" عليه سمة قرآنية منسوب الى السيد المسيح عندما أخذه اليهود لصلبه: "اللّهم أنت القريب في علوّك (...) اللّهم خالق الخَلق بقدرتك (...) أشهد أنك اله أحدٌ صمد لم تلد ولم يكن لك كفواً أحد".

المناهل الخمسة

في موازاة الكلام المستمر عن "المسيح العربي" - ونحن نتبنى العبارة الخالدية بكل شغف- يجدر بنا التذكّر أن البحث في المسيحية، بدرجات متفاوتة من الدقة والرفعة الحوارية، كان مستمراً في كل المراحل، ومن أبرز المفكرين والفلاسفة والمؤرخين والأدباء والرواة. نسمي منهم على سبيل المثال - بالترتيب الزمني- ولأهمية مساهماتهم في البحث اللاهوتي، وكدنا نقول، ولم لا؟ في "التكامل" بين الديانتين (متمسكين أبداً بأن الانطلاق يعود

الى القديس يوحنا الدمشقي قبل أيٍّ سواه)... ولنسمِّ:
١- الجاحظ: رسالة "الرد على النصارى".
٢- المسعودي: "مروج الذهب" وفيه الصفحات الطوال من المعلومات الدقيقة المستقاة بلا شك من المصادر المسيحية.
٣- العامري: "الاسلام بمناقب الاسلام" وفيه اهتمام دقيق وعميق بالنصرانية، مقارنة مع الاسلام.
٤- القاضي عبد الجبار: "التوحيد والعدل" ويتميز بالبحث المستفيض في الفروق العقائدية بين المذاهب والطوائف، فضلاً عن المقارنات بين اللاهوتين المسلم والمسيحي.
٥- الإمام الغزالي: "الرد الجميل لألهية عيسى بصريح الإنجيل"، وقد أشرنا اليه سابقاً.
مناهل خمسة كلها تؤكد عراقة الاسلام في السعي الى معرفة "دين الآخر". وتسوقنا التسميات الى أهمها بالنسبة الى إشكالية الحوار كما هي مطروحة الآن. عنينا ابن خلدون الذي لا يتطرق في "المقدمة" الى اللاهوت بقدر ما يتناول تاريخ الكنيسة. وفي نظر ابن خلدون- الذي تسحرنا في هذا المجال كما في سواه حداثة تفكيره الدائمة - في نظر ابن خلدون أن فصل الدين عن الدولة في المسيحية هو الذي أدى الى قيام الكنيسة. ومن ثمّ أن العامل الأساسي الذي يميّز بين الاسلام والمسيحية هو "الجهاد" الذي جعل الاسلام "خلافة وملكاً في آنٍ واحد"، بينما فصلت المسيحية بين السلطتين "لان المسيحيين غير مكلفين بالتغلّب على الأمم كما في الملّة الإسلامية، إنما هم مطلوبون بإقامة دينهم في خاصتهم".
سيداتي، سادتي،
ها قد وصلنا الى الكلام الذي يطرح لا مسألة الحوار، من حيث هو حوار وحسب، بل المسألة التي هي في نظرنا الأهم: التمايز بين الاسلام والمسيحية من حيث علاقة الدين بالدولة في اللاهوتين.
ابن خلدون نفذ الى جوهر الاشكالية، ولكنه ليس خاتمة الفلاسفة. فالاسلام المعاصر غني بالمفكرين الذين لا يترددون في طرح أخطر القضايا التي تواجه الفكر، ولنقل "اللاهوت" الاسلامي. أبرزهم وأعرقهم عبدالله العروي ومحمد اركون وحسن حنفي وأحدثهم عبد الوهاب المؤدب. وقد ورثوا كلهم الكثير من أعلام "النهضة" في نهاية القرن التاسع عشر وبداية العشرين، في مصر خصوصاً وفي سوريا ولبنان، كما في مهاجر أوروبا وأميركا.

خلاصات

فالى أين من هذا كله؟
خمس خلاصات لموضوعنا نختتم بها هذه الجولة التي طالت:
أولاً: لا نجاح لأي حوار بين المسيحية والإسلام اذا لم يرتفع البحث فوق اللهجتين المألوفتين: اللهجة الهجومية واللهجة الدفاعية. أي لا نجاح للحوار بدون عصرنة مقاربة الدمشقي للموضوع.
ثانياً: ليس المطلوب إقناع أي من الفريقين بديانة الآخر أو بتفوقها، انما الشرط هو تعزيز وتعميق معرفة كل من الفريقين بدين الآخر بدون تشنج ولا مواربة، وعن طريق استنهاض الأبحاث المسلمة بالمسيحية لتوازي وتوازن الأبحاث المسيحية في الإسلام.
ثالثاً: كما طوّرت المسيحية نفسها، فوصلت في عصر "التنوير" الى فصل الدين عن الدولة، يجب أن يطوّر الاسلام نفسه في هذا المجال من غير أن يخسر شيئاً من لبّ إيمانه، وذلك قبل أن تتطور الظروف الجيوسياسية في العالم المسيحي نحو عودة الى توحيد الهويتين، الدينية والسياسية، فيصير العالم يواجه جهادين اثنين، بدل جهاد واحد.
رابعاً: يجب أن يُعوّض الاسلام - ولعله بدأ في آسيا قبل الاسلام العربي- عن غيابه خمسة قرون عن الركب الحضاري الخلاّق الذي كان هو سيّده حتى عصور النهضة الأوروبية. وما لم يفعل ذلك، يكون هو المسؤول عن زج نفسه والعالم في "صراع حضارات" وليد تباين أجيال التقدم والتخلّف، بدل أن يعيد الاسلام نفسه والعالم الى صيغة توارث الحضارات لبعضها وتكاملها وشراكتها. وهذا ما كان أيام الاسلام الأندلسي.
خامساً وأخيراً: يجب أن يقلع الإسلام، وكذلك أن تقلع أميركا الامبراطورية، عن الظن بأن التاريخ من صنع اله هذا الفريق أو ذاك، كأنما لكل فريق الهه، ينصر مؤمنيه ويهزم الكفار والشياطين القابعين في "محاور الشر" المواجهة. الله لم يحتكر أرضاً لأحد، ولا هو في أية صليبية أو جهاد أدام النصر لمؤمنين به من دون سواهم. وبنسبة ما هو الله واحد أحد، مهما تعددت الأديان والعبادات، كذلك يجب أن يكون السلام واحداً، وكذلك العدالة، لجميع المؤمنين في جميع الديانات، وليس احتكاراً لفريق في جهاده أو صليبيته ضد الفريق الآخر.
اذاً، بديل صراع الحضارات، بل وبديل حوارها البليد، فلنرفع مؤمنين شعار "حضارة السلام" أي حضارة

العدالة والحرية، والمساواة في الحقوق التي تجتمع الأديان على الإيمان بها.
وفي مقالات قديسنا يوحنا الدمشقي مئة حجة وحجة للمشاركة في الجهاد مع الذات بديل الجهاد للانتصار على الآخر.
سيداتي سادتي،
لا أجد ما أتوجه به ، في خاتمة هذا الحديث، يمكن أن يكون بمرتبة وحقيقة ما جاء عن بصيرة العقل بالقلب في القرآن الكريم، سورة الحج:٤٦:
"أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور".